

المحاضرة الرابعة

تطور الفكر التربوي (الجزء الأول)

عرفت التربية عبر العصور ممارسات مختلفة، وهدفت لتحقيق العديد من الأهداف التي تتوافق مع فلسفة كل مجتمع. نذكر منها:

1- التربية في المجتمعات البدائية:

مفهوم البدائية: يقول ابن فارس: "الباء والداال والهمزة، من افتتاح الشيء"، وبدأ الشيء بدءاً، حدث أولاً، والبداءة: أول كل شيء، والبدأة هي أول الحال والنشأة، يقال: كان ذلك في بدأتنا، والبدائي-بضم الباء- (في علم الاجتماع primitive) الطور الأول من أطوار نشأة المجتمع، والصورة الأولى للأشياء.

والمجتمع البدائي، هو المجتمع الذي:

-لا يعرف القراءة والكتابة.

-لا يعرف استعمال المعادن.

-يقوم تنظيمه الاجتماعي على الجماعات الاجتماعية (كالعائلة، والعشيرة، بدلاً من الدولة).

-تقوم العلاقات الاجتماعية على أسس قرابية ومحلية.

-يكون المستوى التكنولوجي فيه واطناً.

-ينعدم فيه التخصص الاقتصادي.

أما بحسب "معجم "وبستر البدائية primitive مشتقة من primitif الفرنسية، وهي بدورها مشتقة من الكلمة اللاتينية primitivus، المشتقة من primus.

ويشير المصطلح بشكل عام إلى الفجاجة، وانعدام التطور، والخشونة، وتدني النوعية.

-ويستخدم مصطلح البدائية كنقيض أو مقابل لمصطلح لكلمة "متمدنة" أو "متقدمة" أو "مزدهرة" أو "عصرية" أو حتى "معاصرة"...

وعموما يشير مصطلح البدائية الكثير من الجدل بسبب ما يوحي به من دونية، أو معاني التوحش، أو احتقار، أو معاني سلبية، في حين أن العديد من الباحثين يعتبرون أن ما يسمى بالمجتمعات البدائية، والإنسان البدائي، يتصف بالعديد من الصفات والإنجازات التي يعجز عن تحقيقها الإنسان المعاصر، أو تنافس ما ينجزه مثلاً: الفنون، الرسم...هذا ما دفع بهم، وخصوصاً بالأنثروبولوجيين إلى إعادة النظر في مفهوم البدائية، واقتراح تسميتها بمسميات أخرى، وأول من عبر عن هذه الحاجة هو "هرسكوفتز" واقتراح مصطلح "المجتمعات اللاكتابية". وهناك من اقترح مسميات أخرى مثل: "أولية" أو "هامشية" أو "إنسان ما قبل التاريخ".

وعموما فإن الحياة في المجتمعات البدائية بسيطة ولا تخرج عن تحقيق الحاجات الأولى من المأكل والملبس والحماية من المخاطر.

أما عن التربية في المجتمعات البدائية فقد كانت بدورها بسيطة عشوائية تخضع لطبيعة تلك المجتمعات، وتعبر عن غاياتها، **وامتازت بخصائص** منها:

-تربية بسيطة تعمل على المحافظة على العادات والتقاليد وطرق المعيشة السائدة في المجتمع آنذاك.

-تلبية الحاجات الأولية للإنسان البدائي من مأكل وملبس ومأوى، وحماية من الأرواح الشريرة.

-تدريب الناشئة على طريقة الاحتفالات، والطقوس الدينية المقامة لإرضاء الأرواح.

-تربية تعتمد على التقليد والمحاكاة، وتستعمل طرق ووسائل بسيطة في التعلم.

-تربية جامدة لا تدعو للتغيير.

-تربية عملية أكثر من كونها نظرية.

-تنتقل عن طريق الكلام.

-تعتمد على الخبرة المباشرة حيث يحاول الكبار اصطحاب الصغار إلى مكان العمل (نظام الصبية).

-تربية مستمرة باستمرار حياة الفرد، غير مقصودة وغير نظامية، تتم بطريقة عشوائية، وبوسائل بسيطة.

-إن التربية في المجتمعات البدائية كانت تهتم بالجانب الجسماني (تربية جسمية)، وبالتالي فالحياة في المجتمعات البدائية كانت تهتم بالقوة، حيث كانت أهم مشاكل الإنسان البدائي هي أن يحيي نفسه وأسرته من الأعداء سواء كانوا من البشر، أو من الحيوانات، فكان عليه أن يعنى بجسمه وبنائه، وقد مارس من أجل ذلك تدريبات بدنية مختلفة. أو كانت تهدف الترويح عن نفسه من عناء الحياة الشاقة كالرقص، والسباحة، والصيد

2- التربية في الحضارة الهندية:

تميزت التربية الهندية القديمة بميزتين أساسيتين هما: الجانب الاجتماعي، والجانب الديني، حيث كان المجتمع الهندي مجتمع طبقي يتسم بطبقية مغلقة، وراثية لا يسمح بالارتقاء من إحداها إلى الأخرى، أو التزاوج بينها، وتتمثل هذه الطبقات في:

- **طبقة البراهمة أو الكهان:** وهي أعلى طبقة في المجتمع، وتشمل المعلمون والمشرعون.
- **طبقة الكشاتريا (المحاربون):** وهم كبار العسكريين، يهتمون بأمور الحكم، والجيش، والحرب.
- **طبقة الفايزا أو الصناع:** وهم التجار وأصحاب المال.
- **طبقة الشودرا (العبيد):** ويقومون بخدمة الطبقات الثلاث السابقة.
- طبقة الباريا (المنبوذين):** وهم من أسرى الحرب الذين تحولوا إلى عبيد وخدم عقابا لهم.

كما كان للدين تأثير كبير على المجتمع الهندي، وعلى النظام التربوي.

ومن هنا فإن للتربية هدفان هما:

1- إعداد الفرد للحياة المستقبلية أكثر من إعداده للحياة الحاضرة:

2- المحافظة على النظام الطبقي السائد في المجتمع الهندي

وعموما فقد ساد المجتمع الهندي **نمطين من التربية** هما:

أ- التربية البراهمانية: لم يخضع شؤون التربية والتعليم للدولة، بل للنظام الطبقي والدين، هذا الأخير الذي كان له دور كبير فيف، حيث أن رجال الدين من البرهمان وغيرهم كانت لهم السلطة الكبرى، وكانت لهم السلطة في احتكار الكتابة وتعليمها، وحصرها لدى فئة قليلة منهم، حتى يضمنوا حفظ أسرار النصوص المقدسة، وعدم تعميمها لدى عامة الناس. ولكن فيما بعد تنازل البرهمان وسمحوا بتعليمها لبعض الطبقات عدا طبقة المنبوذين.

-كان التعليم مجانيا، ذلك أن كتهم المقدسة حرمت أي نفقات أو رسوم، فقد كان يعتبر ذلك ضد تعاليم السماء.

-كان التعليم يمول من طرف هدايا التلاميذ، أو من التسول.

-أما المعلمون يحصلون على أجورهم من التلاميذ.

-كان لكل قرية مدرسة ومعلمها، وهناك من المعلمين من يدرسون في الهواء الطلق أو في منازلهم.

ب-التربية البوذية:

لا تختلف البوذية في خطتها العامة وروحها عن البراهمانية إلا في الاختلاف حول الدين والأيدولوجية الاجتماعية، ونوع المدارس، وتعليم البنات، حيث تتفق البوذية والبراهمانية في الاهتمام بالمثل العليا الدينية والخلقية، ولكن رفض بوذا الفيدا وتعاليمها واعتبارها السلطة العليا على السلوك الاجتماعي، كما رفض نظام الطبقات لاعتباره نظاما اجتماعيا غير عادل، وهكذا حلت الآداب البوذية محل الفيدا كمصدر للحكمة والأخلاق.

3-التربية في الحضارة الصينية:

أشار "ماكس فيبر" إلى العلاقة المتبادلة بين النظام السياسي والإداري والتنظيمي، وإلى طبيعة الطبقات الاجتماعية التي وجدت في المجتمع الصيني القديم، وبين أنماط الفكر التربوي والتعليمي الذي كرس أساسا من أجل المحافظة على النظام الطبقي، والاقتصادي والاجتماعي في هذه الإمبراطورية القديمة.

وقد امتاز الشعب الصيني القديم بحب التعلم والتعليم، وإنشاء المدارس المتخصصة المختلفة لتعليم النشء سواء من أبناء الطبقات الحاكمة أو الحاشية أو رجال الدين. علاوة على وجود نظام تعليمي وتربوي يكرس أساسا للتعليم العسكري ولتنظيم الجيوش وإدارتها، أو إنشاء قوات نظامية للحفاظ على الأراضي الداخلية، وحماية الأفراد من النزاعات الداخلية.

وقد كان للأسرة مكانة كبيرة في المجتمع الصيني، وكان للأب السلطة الكبيرة فيها، أما الأم فهي المسؤولة عن تطبيق تعليمات ومبادئ تربية الأطفال قبل ذهابهم إلى المدرسة، عن طريق تلقينهم العقائد الدينية، وتبجيل الآباء، وخدمتهم، وطاعتهم.

وقد سادت في الصين ثلاث ديانات دون أن تكون إحداها ديانة الدولة الرسمية وهي: الكونفوشيوسية نسبة لمؤسسها "كونفشيوس" وهو الأكثر تأثيرا، والطاوية نسبة لمؤسسه "لاوتسي" وتأتي في المرتبة الثانية بعد الكونفوشيوسية، وأخيرا البوذية.

كما يعتبر نظام الامتحانات (ثلاث درجات) في الصين الظاهرة الأساسية في التربية والتعليم، ووسيلة لصيانة الكتاب الحكومي والاجتماعي، وعن طريق هذه الامتحانات يتم اختيار الموظفين اللازمين لإدارة شؤون الدولة.